(7) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

إنه العالم العامل بعلمه ، قائم الليل ، وصائم النهار ، وهو أحد العبادلة ، ومن المكثرين رواية للحديث ، الذي كان يكتب عن النبي ﷺ ما يقوله في الرضا والغضب بعد استأذانه في ذلك .

إنه العابد الزاهد والحَبْر العالم الفاضل الذي قرأ كتب السابقين . أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الصحابي الجليل بن الصحابي الجليل الذي كان يختم القرآن مرة كل أسبوع ، ويفطر يوماً ويصوم يومًا إلى أن مات كما أمره رسول الله ﷺ .

ما هي قصة حياته ، وما هي مواقفه مع الرسول ﷺ ، ومع الصحابة رضوان الله عليهم ؟ كيف كانت عبادته وعلمه ؟

هذا ما سنتعرف عليه إن شاء الله من خلال قراءة الصفحات التالية

***

ولد عبد الله بن عمرو بن العاص في بيت شريف من بيوت مكة المكرمة ، فجده هو العاصي بن وائل السهمي ، أحد سادة قريش ، وأحد زعمائها ، وأبوه هو عمرو ابن العاص رضي الله عنه داهية العرب ، وسفيرها إلى النجاشي ، الذي تزوج مبكراً وأنجب عبد الله مبكراً ، ولذلك فقد كان الفارق العمري بينهما اثنتا عشرة سنة ، ويبدو أن سبب هذا الزواج المبكر يعود إلى رخاء هذه الأسرة وشرفها ، أو أنه عادة هذه الأسر في ذلك الزمان .

شب عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما طويلاً ، أحمر الوجه . رزقه الله بعقل نابه ، وفكر ثاقب ، يدل على ذلك أنه أسلم قبل أبيه مبكراً ، وكذلك تعلم عبد الله ابن عمرو القراءة والكتابة في عصر قل فيه الكتبة وانحصروا في فئة من سادة القوم ، مما أتاح له ذلك الإطلاع على كتب السابقين والتدوين عن رسول الله ﷺ فيما يقوله من أحاديث ، وذلك بعد استأذانه بقوله : يا رسول الله ، اكتب ما أسمع في الرضا

والغضب ؟ قال ﷺ : « **نعم ، فإني لا أقول إلا حقاً** »وهوالأمر الذي جعله من أكثر رواة الأحاديث .

يخبر بذلك أبوهريرة رضي الله عنه ، فيقول : ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب .

نشأ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في طاعة الله تعالى ، فقد كان كثير الصيام والقيام وقراءة القرآن ، الأمر الذي دفع والده أن يخبر رسول الله ﷺ بصنيعه . .

***

زوج عمرو ابنه عبد الله فتاة ذات حسب ونسب ، وكان يذهب إلى زوجه ابنه ويسألها عن حالها ، وحال زوجها معها . فكانت تذكره بالخير ، وتخبر أنه دائم القيام ليلاً ، والصيام نهاراً ، تذكر الزوجة ذلك بصيغة الشكوى ؛ لأن لها حقوقاً تريدها ، ففهم الأب وانطلق من فوره إلى رسول الله ﷺ وذكر له شكوى زوجه ابنه . فقال له ﷺ : القني به .

فلما قابل النبي ﷺ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، سأله : كيف تصوم ؟

قال : كل يوم . قال : وكيف تختم ؟ قال : كل ليلة . فقال النبي ﷺ : « **صم في كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر** »، فقال عبدالله : إني أطيق أكثر من ذلك . قال : صم ثلاثة أيام في الجمعة .

فقال : أطيق أكثر من ذلك . قال : افطر يومين وصم يوماً . فقال : أطيق أكثر من ذلك . قال : صم أفضل الصوم ، صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة .

وهكذا وضع الرسول ﷺ له منهج العبادة ، صيام يوم ، وإفطار يوم ، وقراءة القرآن مرة كل أسبوع ، وليس هناك أفضل من ذلك ، لأن لبدنه عليه حقاً ، ولزوجه عليه حقاً ، ولزائره عليه حقاً .

وظل عبد الله محافظاً على هذا المنهج المعتدل حتى بعد ما كبر ، وضعفت قوته

بل إنه كان إذا أراد أن يتقوى على الصيام أفطر أياماً وأحصاها ، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ .

***

كان عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما حريصاً على فعل الطاعات ، والسبق إلى الخيرات ، ولذلك كان ملازمًا لرسول الله ﷺ منذ صباه ، يسمع ما يقوله ويحفظه ويكتبه ، يسمع ما يأمر به فينفذه ويفعله ، وفي إحدى جلساته معه أخبر الرسول ﷺ عن رجل يطلع عليهم ، وهو من أهل الجنة ، فتعلقت عيون الصحابة إلى حيث أشار رسول الله ﷺ ، فطلع رجل من الأنصار .

فلما كان الغد قال الرسول ﷺ نفس القول وطلع نفس الرجل ، ولما كان اليوم الثالث قال الرسول ﷺ مثل مقالته ، فطلع نفس الرجل الأنصاري ، فلما قام المجلس تبع عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ذلك الرجل يريد أن يعرف حاله ، حتى يكون مثله من أهل الجنة كما أخبر الرسول ﷺ .

طلب عبدالله رضي الله عنه من الرجل أن يضيفه ثلاث ليال ، ففعل الرجل ، وظل عبد الله يراقبه ، طوال الليالي الثلاث ، ماذا يفعل ؟ وكيف يقضي ليله مع ربه ؟ هل سيقضيه بين يدي ربه مصليا ؟ أو مع كتاب ربه قارئا متدبراً ؟ أو رافعاً يديه مناجياً ؟

لابد أن هذا الرجل يجتهد في العبادة أكثر من أي صحابي آخر ، ويكلف نفسه ما لا يطيقه إلا القلة . ربما دارت في ذهن عبد الله رضي الله عنه هذه الأفكار أو غيرها ، غير أنه فوجئ بأن الرجل على عكس ما كان يظنه ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا استيقظ وتقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، حتى إذا ما أذن لصلاة الفجر قام للصلاة وانقضت الليالي الثلاث على هذا النحو ، إلا أنه لم يسمع منه إلا خيراً .

ولما هَمّ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بالانصراف قال للرجل : يا عبد الله ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات : « **يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة** »طلعت أنت الثلاث مرات ، فأردت أن آوي إليك ، وأراقبك ، وأنظر

ما عملك ، فاقتدي بك ، فلم أرك تقوم بعمل كبير ، فما الذي بلغ بك هذه الدرجة؟ فقال الرجل : ليس من شيء إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . فقال ابن عمرو رضي الله عنه : هذه التي بلغت بك .

إن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما هنا يطلب أسباب الفوز بالجنة ، فنراه يراقب الرجل المبشَّر بالجنة ليقتدي به ، ويفعل أفعاله أيّاً كان هذا الرجل ، طالما أنه رجل وصفه رسول الله ﷺ بقوله : « **رجل من أهل الجنة** » .

***

مضت الأيام والسنوات بعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وطوت صفحة الخلفاء الراشدين البيضاء ، وفي أثنائها جاهد عبد الله في سبيل الله تعالى كغيره من الأخيار ، وشهد فتح بلاد الشام ، وكان يحمل الراية يوم اليرموك أثناء قتال الروم والانتصار عليهم ، حتى حدث الإختلاف بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ووقعت موقعة الجمل ثم صفِّين فخرج بأمر أبيه كارهاً بعد أن قال له أبوه : يا عبد الله ، ألم يقل لك رسول الله ﷺ أطع أباك .

قال : اللهم بلى . قال : فإني أدعوك أن تخرج وتقاتل . فخرج عبد الله ، ولكنه لم يطعن برمح ، ولم يضرب بسيف ، ولم يرم بسهم ، وحدث في المعركة أن قُتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما فتذكر الناس قول الرسول ﷺ لعمار : «**تقتلك الفئة الباغية**» فانتفض عبد الله ثائرًا ، ونفض يديه من القتال ، وظل يلوم نفسه طوال حياته على هذا الموقف ، ويقول : مالي ولصفين ، مالي ولقتال المسلمين ، لوددت أني مت قبله بعشرين سنة .

وتمضي أيام ، وبينما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه وجمع من المسلمين في حلقة علم بمجسد رسول الله ﷺ إذ مر بهم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فسلم ، فرد القوم السلام ، ثم رفع عبد الله بن عمرو صوته بالرد قائلاً : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم عاد يحدث القوم : - ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا : بلى . قال وهو يشير إلى الحسين رضي الله عنه :

هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين، ولأن يرضى عني أحب إليّ من أن يكون لي حمر النعم .

فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : ألا تعتذر إليه، قال : بلى .

وسعى أبو سعيد بينهما لإعداد اللقاء العظيم في دار الحسين بن على رضي الله عنهما .

وفي دار الحسين جري حوار العتاب الأخوي التالي :

أبو سعيد : يا ابن بنت رسول الله، إنك لما مررت بنا أمس أخبرنا عبد الله بن عمرو أنك أحب أهل الأرض إلى أهل السماء .

الحسين (وهو يلتفت إلى عبد الله بن عمرو وتكسو وجهه ابتسامة مشرقة) : أعلمت يا عبد الله أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟

عبد الله : إي ورب الكعبة، إنك لكذلك .

الحسين : فما حملك على أن تاتلتني وأبي يوم صفِّين؟

عبد الله : لقد خرجت مكرهًا طاعة لأبي، فإنه شكاني إلى رسول الله ﷺ يومًا ما، وقال له : يا رسول الله، إن عبد الله يقوم الليل، ويصوم النهار. فقال لي رسول الله ﷺ : «يا عبد الله، صلي ونم، وصم وافطر، وأطع عَمْراً» . فلما كان يوم صفين ذكّرني أبي بذلك، وأقسم عليّ بالخروج . وانتهى الحوار بالحب في الله كما بدأ .

عاش عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يعلّم الناس، وينقل لهم سنة رسول الله ﷺ وسيرته، وكان ـ كما قلنا سابقًا ـ قد قرأ في كتب السابقين، وعلم ما فيها . سأله ذات يوم عطاء بن يسار، وهو أحد التابعين عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فأجابه : إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ وحرزًا [1] للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب [2] في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة،

(1) حرزًا : حصنًا وحفظًا .

(2) صخّاب : شديد الصوت

ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غُلفًا.

ومن أعز ما كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يمتكله ويحتفظ به، ويحافظ عليه، صحيفة بها أحاديث سمعها من رسول الله ﷺ مشافهة ليس بينهما أحد، وكان يسميها الصادقة. وهذا يدل على أن السنة النبوية كانت تدون في عهد رسول الله ﷺ.

ثم تمضي الأيام بعبد الله رضي الله عنه ويبتليه الله في آخر عمره بفقد بصره، فيصبر، ويحتسب حتى لبى نداء ربه تعالى في سنة ثلاث وستين للهجرة، وعمره إذ ذاك اثنتين وسبعين سنة. فطوبى له، وهنيئًا له الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقًا.

• من فضائل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:

(1) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**» رواه البخاري ومسلم.

* * *